القيادة والرؤية المنهجية

• أ. د. فالح بن محمد بن فالح الصغير
عضو مجلس الشورى

عندما يكون العمل منهجيًا، يكون المنتج متقنًا، وصالحًا لمدة أطول، وأثره أنفع، وتأثيره أعمق، كيف وإذا كان الإنتاج لهذا الإنسان الذي خلقه الله سبحانه وتعالى وكرمه على سائر المخلوقات: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الإسراء٧٠.

وقف شعب المملكة العربية السعودية بانتظار كلمة القائد، وفقه الله وسدده، ظهر الجمعة ١٣/ ٤/ ١٤٣٢هـ، وجالت خواطرهم قبل ذلك فيما سيوجه فيه شعبه الكريم، وما تحمله تلك الأوامر الكريمة، وطارت بهم الظنون والاستنتاجات مسافات من هنا وهنا، لكن الحقيقة بانت وظهرت أعمق، وأبعد، وأقوى من تلك الظنون، فلهجت الألسنة الصادقة حمدًا وشكرًا لله عز وجل، ثم لهذه القيادة الوفية الحكيمة، ومن ثمّ جاءت هذه المعالم والاستنتاجات بمختلف أبعادها لتسطر لنا وللأجيال اللاحقة الدروس العميقة، ولعلها تسهم في رسم المنهجية في حسن التعامل، فتزيد معالم المسيرة وضوحًا ورسوخًا.

أولاً: دولة المسؤولية:

انطلاقًا من موقع المسؤولية وامتثالاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع وهو مسؤول عن رعيته..»، كان هذا التفاعل الكبير من قائد البلاد – حفظه الله – مع رعيته ومواطنيه، فقد تحدّث إليهم مباشرة معبّرًا عن مدى افتخاره واعتزازه بهذا الشعب الوفي، وكذلك مدى الحبّ الذي يكنّه لهم في نفسه، وأنه يتطلع إلى تحقيق طموحاتهم وتأمين حوائجهم في الجوانب الحياتية المختلفة، واستنادًا إلى الشعور بالمسؤولية نحو الوطن والمواطنين، جاءت هذه الأوامر الملكية الكريمة.

ثانيًا: العلم والعلماء:

ولما للعلم وأهله ومؤسساته الكبرى كهيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للإفتاء، ووزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، والرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مسؤولية كبرى، جاءت الأوامر المؤكدة والمطورة للمؤسسة العلمية للنهوض العلمي ولاستقرار الأمن والأمان في الوطن، وتوحيد الصف وتماسك المجتمع، ونبذ العنف والفتن، من خلال وسائل الإعلام المختلفة، وعبر الندوات والمحاضرات واللقاءات العلمية، وفي خطب الجمعة وغيرها.

وذلك في إشارة إلى أن الدولة أسست على العلم الشرعي ومبدأ احترام العلماء والدعاة، لذا كان لا بد من حسن التخاطب معهم وعدم الإساءة إليهم، والرجوع إليهم في النوازل والمستجدات، من أجل نشر الأمن والاستقرار، وحسر الفتنة والاضطراب.

وتأكيدًا على ذلك جاءت الأوامر الكريمة التي تعزز الجانب الشرعي في الوطن من خلال تفعيل دور العلماء وضرورة احترامهم، لأنهم السياج المنيع لولوج الأفكار الدخيلة والآراء الشاذة التي من شأنها تخريب العباد والبلاد.

ثالثًا: المنهاج الوسطي في الطرح:

لقد حرص خادم الحرمين الشريفين، والقيادة الحكيمة في هذه البلاد منذ نشأتها، أن تكون الوسطية ديدنهم في التعامل مع النصوص الشرعية، فلا إفراط ولا تفريط في الأحكام والتشريعات، انطلاقًا من قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ البقرة١٤٣، لأن ذلك من أسباب استقرار البلاد وراحة العباد من جهة، ومن جهة أخرى يساعد في تقبّل الناس للإسلام والاستماع إلى أهله ودعاته، فيمثلونه التمثيل الحق.

رابعًا: الوفاء من أهل الوفاء:

إن ما قام به خادم الحرمين الشريفين – وفقه الله – عبر هذه الأوامر الكريمة ليس مجرد تحقيق حقوق وتطلعات للمواطنين فحسب، بل هو وفاء مقابل وفاء أيضًا، فالشعب الذي انتمى لهذا الوطن بصدق، وبايع ولي الأمر على السمع والطاعة، والتزم بذلك قولاً وعملاً، لا سيما في وقت حاول فيه البعض الاصطياد في الماء العكر، وإشعال فتيل الفتنة في البلاد، فإن هذا الولاء من هذا الشعب قُوبل من قائده بالتقدير والوفاء، فكانت هذه المبادرات الكريمة، وهذا الردّ الجميل، الذي عمّ خيره جميع أبناء الوطن ومرافقه ومؤسساته. فشكر الله تعالى لأهل الوفاء وفاءهم، ولا غرابة في ذلك، فهذا الدين يعلم القيم العليا ويربي النفوس عليها.

خامسًا: الكتاب ونظام المطبوعات:

ومن باب الحفاظ على عقيدة الناس في هذه البلاد، وحماية أفكارهم من تلوث الأفكار الدخيلة، والآراء الشاذة، أمر خادم الحرمين الشريفين بضرورة احترام سماحة مفتي عام المملكة وهيئة كبار العلماء، وعدم السماح بالهمز واللمز إليهم عبر الكتب أو الندوات أو وسائل الإعلام الأخرى، وبناءً على ذلك أيضًا أمر بإعادة دراسة نظام المطبوعات والنشر ولوائحه التنفيذية، وإبلاغ الجهات العليا بوجود أي تجاوز في هذا المجال، وهذا – بإذن الله تعالى – كفيل باستمرار هذا الأصل العظيم ليتربى الأجيال عليه ويبقى عاصمًا من أهم العواصم.

سادسًا: حماة البلاد والأنفس والأعراض:

من أولويات العناية عند خادم الحرمين الشريفين العناية بأبناء القوات المسلحة والأمن العام، وهم العيون الساهرة الذين يواصلون الليل بالنهار، وتتعرض حياتهم للمخاطر والمهالك، من أجل حماية البلاد والأنفس والأعراض، فقد أشاد بدورهم الكبير، وخصص الدعم المناسب لهم، واستحدث ستين ألف وظيفة عسكرية لهم، الأمر الذي يعزز من شأن الانتماء الوطني، ويحدّ من ظاهرة البطالة، ويفعل مشاركة الكثير من أبناء الوطن للقيام بمسؤولياتهم.

سابعًا: مكافحة الفساد ليسلم البناء:

لعل من أهم الدعائم التي يحرص عليها خادم الحرمين الشريفين والقيادة الحكيمة في هذه البلاد هو مراقبة المسؤولين التنفيذيين ومكافحة الفساد على جميع الأصعدة والمستويات، وقد أمر خادم الحرمين ضمن أوامره الكريمة بإنشاء هيئة وطنية خاصة لمكافحة الفساد بكل أشكاله – إضافة إلى الجهات الرقابية الأخرى – حتى تستقيم الأمور، ويسلم البناء، ويتحقق الرقي والازدهار في أرجاء المملكة جميعها، وهذه خطوة مهمة ينبغي الإسراع في تفعيلها.

ثامنًا: المشاركة المجتمعية مع القطاع الخاص:

مما أشار إليه خادم الحرمين الشريفين ضمن قراراته الكريمة، ضرورة تحقيق المشاركة المجتمعية مع القطاع الخاص، أي قبول المواطنين في القطاعات الخاصة في الوظائف والتخصصات المختلفة، تحقيقاً لمبدأ التكافل الاجتماعي، من أجل الحدّ من البطالة، وزرع الثقة في نفوس المواطنين في العمل والاعتماد على جهودهم في صناعة بلادهم، وبناء مستقبلهم، وعدم الفصل بين القطاعين العام والخاص.

وبعد، فكلمة خادم الحرمين الشريفين وأوامره الكريمة تفرض علينا – نحن المواطنين – عدة أمور:

مبادلة الوفاء بالوفاء، من خلال الولاء الصادق لولي الأمر، والانتماء الحقيقي للوطن، والوقوف في وجه كل من يحاول زعزعة الأمن والاستقرار.

الشعور بالمسؤولية من قبل المسؤولين، واستشعار عظم الأمانة التي يحملونها، والعمل بإخلاص في الأداء والإتقان.

تبصير الناشئة بالحقائق التاريخية والسنن الجارية في هذا الكون، أنه كما تدين تدان، فالحاكم الوفي لشعبه ومواطنيه لن يلقى إلا الحب والوفاء منهم، وكذلك فإن الشعب الوفي الصادق مع الله ومع نفسه، يوليه الله حاكمًا وفيًا مخلصًا، ثم إن الأمن والاستقرار نعمة كبرى، والفتنة والتقاتل نقمة عظمى.

قيام العلماء والدعاة بأدوارهم، في النزول إلى الناس وتوعيتهم والاستماع إلى مشكلاتهم وطموحاتهم، وإيجاد الحلول الممكنة لهم، حفاظًا على سلامة عقائدهم وأفكارهم من المؤثرات الخارجية والدخيلة، فمهمتهم عظيمة وواجبهم كبير.

ومن هنا، فعلى الجميع إدراك مهمتهم واحترامها، والدفاع عن آرائهم ديانة لله تعالى، وطاعة لولي الأمر، وحفاظًا على الدين، ورعاية للمصالح الكبرى.

ثم يأتي تشجيع البحث العلمي من الباحثين، وبذل الجهود والطاقات من أجل تقديم أفضل البحوث العلمية والمعرفية في التخصصات المختلفة، والتي تسهم في تطوير العلوم، والارتقاء بطلبة العلم إلى آفاق أكبر وأوسع، وبالتالي دفع الوطن نحو البناء والإبداع.

كذلك تشجيع حلقات تحفيظ القرآن الكريم، ومكاتب الدعوة وتوعية الجاليات وغيرها من الجمعيات العلمية والدعوية، ودعمها بكل الوسائل والإمكانات، لأنها عبادة لله تعالى قبل كل شيء، ثم إنها سياج للفكر والنفس من النزغات والنزعات.

نشر المنهج الوسطي في البيت والمدرسة والمؤسسة وغيرها، وغرسه في نفوس النشء منذ المراحل العمرية الأولى.

ومن هنا فإن على التعليم والإعلام إعادة النظر في كل الوسائل التي تربي على هذا النهج القويم.

التناصح بالحكمة والموعظة الحسنة، والابتعاد عن القسوة والجفاء في التعامل مع الناس، لأن القلوب مجبولة على حب من ترفق بها وحسن الكلام معها.

التعاون على البر والتقوى، وتحقيق أسبابه، والابتعاد عن المعصية والمنكر واجتناب أسبابه.

سد كل ثغرة ينفذ منها الأعداء والحاسدون، من خلال الالتزام الصحيح بأحكام الإسلام وتعاليمه، والرجوع إلى أهل العلم إذا اقتضى الأمر، والوعي بما يكيده هؤلاء الأعداء.

وأخيرًا: لا بد من التوجه الصادق إلى الله تعالى بالثناء والشكر والحمد، بالقول والعمل، على ما منّ علينا من النعم التي لا تعد ولا تحصى؛ ثم الشكر الجزيل لخادم الحرمين الشريفين على هذه الرعاية الأبوية، جزاه الله خير الجزاء، وأجزل له الثواب، وحفظه وإخوانه من قادة هذا الوطن من كل شرّ ومكروه وفتنة، وحفظ العباد والبلاد من كيد الكائدين وحسد الحاسدين وعدوان المعتدين.